دنس عقلهم وعصيانهم ودعهم الهنا قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا
ولباس التقوى ذلك خير فتغير والانبيا وقد دفعوا ملابس المحن خشية ان تنزل بهم ويا وساجها
لكي لا يتذموا عليه بخلعة التي النعم بها عليهم وينهضوا له بالوفا فيما اقتضى منهم وبالامانة والصيانة
فيما استأمنهم وكان بعض العارفين ينشد قالوا غدا العيد ما ذا انت لابسه ؛ فقلت
خلعة ساق حبه جرعا ؛ فقر وصبر هما ثوباي تحتهما ؛ قلب يرى الفه الاعياد والجمعا ؛ الحر
ما ثم ان غبت يا املي ؛ والعيد ما كنت لي مرآ ومستمعا ؛ احرى الملابس ان تلقى الحبيب به
يوم التزاور بالثوب الذي خلعا ؛ وقال رضي الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا
واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا ومعنى كلام الشيخ
هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى
ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله واهل الله اذا خوفوا رجوا علما منهم ان من وراء
خوفهم وما به خوفوا اوصاف المرجو الذي لا ينبغي ان يقنط من رحمته ولا ان يوئس
من منته فاحنا لوا عليها اوصاف كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم
بذلك اليه واذا رجوا خافوا بخافون غيب مشيئته الذي هو من وراء رجائهم وخافوا
ان يكون ما اظهر من الرجا اختبارا لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجا او تنفذ الى خوف
ما بطن في مشيئته فلذلك استتار الرجا خوفهم وحكمهم في القبض والبسط كما قال
الشيخ في الخوف والرجا غيران البسط مزلة اقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم
وكثرة لجائهم قال بعضهم فتح لي باب من البسط فانبسطت فحجبت عن مقامي ثلاثين
سنة وكان الشيخ ابو العباس رضي الله عنه ينشد واقطع السير اليه ذميلا ؛
فاذا ما نلت منه وصولا ؛ فاقرع الباب قليلا قليلا ؛ واحذر البسط وناد بالمجيب
من على بعد تناديه من قريب فقوله واحذر البسط لما قدمناه فانه ان ذرف من الانوار
بالبسط فيخشى على العبد ان يفنيه وجوده قال الله سبحانه ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض والقبض اقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو
في اسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن اين يكون للعبد البسط وهذا

شانه

٦٤

شانه والبسط خروج عن حكمه وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف
وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله واخبرني بعض الصوفية قال
راى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقال له يا استاذ ما لك مقبوضا فقال له
يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الاخرة وكان هذا الشيخ
الغالب عليه في حياته البسط وقوله من علا بعد ان من شهود استحقاق الاجابة او من علا بد
من دعواك لاوصاف الربوبية او من علا بعد بوجود شهود الاشارة وقال الشيخ ابو
الحسن رضي الله عنه ما طلبت من الله حاجة الا وقدمت اساءتي امامي فان قلت فحديث
الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم صخرة فسدت باب الغار فقالوا ليذكر كل واحد
منكم ارجا عمل عمله لله فذكر احدهم بره بابويه والاخر عفافه عن ابنة عمه مع حبه اياها
والتمكن منها وذكر الآخر تثميره لاجرة اجير استاجره فلما وجده دفع ذلك كله اليه فكشف
الله عنهم ما نزل بهم وزالت الصخرة عن فم الغار فخرجوا هذا معنى الحديث مختصرا رواه
مسلم في صحيحه فاعلم ان هولا الثلاثة لم يذكروا طاعاتهم الا وقد شهدوها فضلا من الله
عليهم فتوسلوا الى نعمه بنعمه كما اخبر الله عن زكريا ولم اكن بدعائك رب شقيا فتوسل
الى الله بسابق حسن عوايده فيه وسالت امراة بعض الملوك فقالت انك قد احسنت
لنا عام الاول ونحن محتاجون لاحسانك اليا العام فقال اهلا بمن توسل لاحساننا
باحساننا واعطاها واجزل لها العطا ومن فتح له هذا الباب حاز له الاخبار بطاعته
ووجود معاملته لانه حينئذ يتحدث بنعم الله سبحانه وقد كان بعض السلف يصبح
فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة تلوت كذا وكذا سورة فيقال له ما تخشى الريا
فيقول ويحكم هل رايتم من يراي بفعل غيره وكان اخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك
فيقول الم يقل الله سبحانه واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث وقال
رضي الله عنه كان الانسان بعد ان لم يكن وسيفنى بعد ان كان ومن كان طرفيه عدم
فهو عدم ومعنى كلام الشيخ هذا ان الكاينات لا تثبت لها رتبة الوجود المطلق
لان الوجود الحق انما هو لله وله الاحدية فيه وانما للعوالم الوجود من حيث ما اثبت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)